قرب والده المتوفى بالطاعون سنة ١٢٤٨ هـ عن يمين الذاهب الى الشيخ معروف الكرخي قريباً من باب مسجده وقبره الان مشهور يزار ، وقد خلف خمسة بنين نبغوا فى العلوم والاداب وتسنموا الوظائف السامية وهم عبدالله وعبدالباقي ونعمان وحامد وشاكر ، وقد رثاه رجال الادب بقصائد رنانة جمعت ماقيل فيه من المديح والثناء والتنويه بفضله اثناء حياته فى كتاب سمي «حديقة الورود فى مدح ابى الثناء شهاب الدين محمود» وهو يطبع اليوم . ومن الله التوفيق .

ابرهيم حلمي

نقد الجزء الثاني من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية «*»

لجرجي افندى زيدان صاحب مجلة الهلال

٣ـ اوهامه فى ما قال وفكر وذهب اليه (تابع)

Notes critiques sur l'Histoire de la Littérature arabe, de Mr. George Zeïdan. - II Volume, Erreurs d'idées.

لله در صاحب الهلال فان كتابه لم يكد يصدر الا واهتمت به اشهر الصحف والمجلات وقام له كتاب العرب والافرنج وتصدوا للخوض فى نقده واظهار ما فيه من المحاسن والمعايب . وكفى بهذه العناية دليلاً على منزلته بين المؤلفات واحتياج الادباء اليه والى محتوياته . ونحن نقول ان هذا السفر يبقى فى مقدمة الكتب التى صنفت او تصنف فى هذا الموضوع . كما اننا على يقين من ان هذا الكتاب يروج اعظم الرواج كمعظم ما صنفه حضرة كاتبنا الضليع ويعاد طبعه مراراً . فاذا عقد النية صاحبه على تجديد نشره نود ان يزيل منه بعض الشوائب ليحل المحل الاول بين ما يؤلف فى هذا المعنى وينال استحسان الجميع .

على ان الانسان بها كلها هنا مما يضيق له نطاق المجلة غير اننا نذكر منها القضيض لا القض متتبعين الصفحات لا المواضيع ليسهل على الباحث اقتناصها والوقوع عليها فى موطنها بتسلسل وتحدر بدون ادنى عنف او مشقة .

ذكر فى ص ١٠ من كتابه ان « اكثر العلوم نشأ من القرآن او تولد خدمة له » ثم لما جاء بذكر تلك العلوم لم يبين ما ذهب اليه فى صدر مقاله لا بل ايد الخلاف

(*) كنا قد اعددنا هذه المقالة منذ نحو سنة الا ان تراكم المقالات والحاح الكتاب علينا بدرجها اعاقنا عن ادراجها فى وقتها . فالمأمول ان صاحب الهلال يعذرنا عن التأخير .

اذ نسب بعضها الى الاقدمين وان العرب سعوا فى ترجمتها ـ وقد قال فى تلك الصفحة « لا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه رأساً او ضمناً » ونسي ان العرب اذا بحثوا بحثاً فى موضوع لم يانفوا من الاشارة الى سائر المواضيع فما من احد تعرض لشرح المعلقات مثلاً الا ورأيت فيها سائر العلوم « راساً او ضمناً » فلماذا لم يقل مثل قوله السابق عن هذه المعلقات . فانت ترى انما قاله فى البدء لا يوافق ما أشار اليه فى ما تلا من تأييد آرائه .

وقال فى ص ١١ « انه (اى النحو) نضج (عند العرب) فى قرن وبعض القرن . واليونان لم يتم علم النحو عندهم الا بعد انشاء دولتهم بعدة قرون. ولم يضع الرومان نحو اللغة اللاتينية الا بعد قيام دولتهم بستة قرون » لكن ذهل حضرته عن ان اليونان والرومان اهتموا بوضع المبادئ والاسس والعرب جاؤوا بعدهم فوجدوا كل شيء مهيأ فأخذوه عمن تقدمهم ليس الا . نعم ان بعضهم ينكر ذلك لكن ادلة المعاصرين من اهل البحث والمستشرقين من ابناء الغرب اماطوا اللثام عن محيا الحقيقة فاصبحت اليوم سافرة لا تحتاج الى اثبات.

وقال فى ص ١٣: « لم يصلنا من اساليب الانشاء الجاهلي غير سجع الكهان واقوال شق وسطيح الكاهنين الجاهليين مشهورة وكلها باردة ركيكة يمجها الذوق » . قلنا : ان الذين نقلوا اقوال شق وسطيح وسائر الكهان جاؤوا بعدهم بعدة سنين بل بعدة مئين من السنين فلما نقلوا لنا اقوال شق وسطيح لم ينقلوها انا بنصها بل بما يكاد يكون بمعناها . لا بل لعلهم وضعوها على لسانهم بدون ان يكون لها ظل من الحقيقة وقد فعلوا ذلك تحقيراً لكلامهم فى عهدهم ذلك . والا فان ما وصل الينا من اشعارهم المتينة وارتجالهم اياها يدل على ما كان لهم من قوة العارضة وادآء البلاغة بجميع حقوقها . طالع مثلاً امثالهم وما يعزى الى خطباء العرب ووفودهم وراجع العقد الفريد فى ما ينسبه الى قدماء الناطقين بالضاد تر العجب .

وفى ص ١٤ ذكر ما : « دخل اللغة فى الالفاظ الاسلامية واكتسبت كثيراً من المعانى الاسلامية لم تكن فيها من قبل كالصلاة والزكاة والمومن والكافر والمسلم وغير ذلك » . قلنا . ان شيوع تلك الالفاظ بالمعانى التى يشير اليها كان عرب النصارى قد سبقوا عرب الاسلام الى وضعها بل كان عرب اليهود ايضاً

قد عرفوها واستعملوها. وقد اشرنا الى ذلك في غير هذا الموطن قبل سنتين فكيف يقول حضرته هذا القول وهو يعلم ما يقابل هذه الكلم من المصطلحات الآرامية اخت اللغة العربية وتكاد تكون هي هي حرفاً بحرف. ان صدور مثل هذا الرأي من صدره لعجيب !

وفي ص ١٧ وما يليها ذكر ما للعصر العباسي من المزايا واورد منها شيئاً ونسي شيئاً أكثر وكتب الافرنج الموضوعة في هذا المعنى تتعرض اكثر لما تعرض له . فلتراجع في مظانها. ومن غريب ما ذكره في هذا السياق حرية الدين ونسي ان كثيراً من الخلفاء ضيقوا على العلويين تضييقاً يقف دونه كل تضييق ديني. وهذا كتاب «مقاتل الطالبيين» لصاحب الاغاني دليل على ما نقول. ثم هل نسي ما فعل بعضهم بالنصارى واليهود فليرجع الى كتب المؤرخين والاخباريين يرَ العجب . والمؤلف كثيراً ما اهمل امر الامامية في تضاعيف هذا السفر مما يسفر على انه غير متوفر العدة في ما يتعلق بشؤون هذه الفرقة التي لها اعز مقام في العلوم العربية وحضارة العرب وتمدنهم. ومن جهله امور الشيعة قوله عن الفقه والفقهاء ص١٣٨: «وقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة وتولدت منهم مذاهب الاسلام الاربعة» .. فكان يحسن به ان يقول هنا : اما الاجتهاد عند الشيعة فان بابه لم يوصد بل بقي مفتوحاً الى يومنا هذا . واغلب كبار مجتهدي الجعفرية هم في النجف. ومما زاد الطين بلة قوله في ص ١٤٤ : «ومن الفقهاء في هذا العصر فقهاء الشيعة لم يذع منهم من يستحق الذكر ...» قلنا : ولو راجع حضرته بعض كتب هذه الفرقة كروضات الجنات، وكتاب نهج المقال في احوال الرجال، لميرزا محمد الاسترابادي المكي المطبوع في طهران ، وكتاب الفهرست، للشيخ منتجب الدين المطبوع في آخر بحار الانوار ، وكتاب امل الآمل في علماء جبل عامل المطبوع في ذيل منهج المقال ، وكتاب منتهى المقال ، في احوال الرجال، للشيخ ابي علي المطبوع في طهران — لرأى انه غير مصيب في كلامه هذا ولتحقق ان بين الامامية من الفقهاء المتوغلين في هذا العلم ما قلما نشاهد مثلهم في سائر الفرق الاسلامية ففيهم ابان بن تغلب وابان بن عثمان وجابر الجعفي وهشام بن سالم وهشام بن الحكم وزرارة بن اعين واخواه حمران وبكير، هذا فضلاً عمن يضاف الى هذا البيت بيت العلم والفضل والادب، ومحمد بن مسلم وابو

الليث المرادى ويزيد بن معاوية العجلى وغيرهم . وكان يحسن به ان يذكر فى ص ١٥٥ التقية اذ قال : وفيه (اى فى عصر العباسى الثانى) قيدت الافكار فطارد المتوكل للمعتزلة والشيعة فضعفت الحرية . وعمد الناس الى التستر بافكارهم خوفاً على حياتهم خلافاً لما كانوا عليه فى اواخر العصر الماضى اهـ. قلنا وهذا مايسميه الشيعة بالتقية وهنا كان يليق به ان يذكر بحثاً وجيزاً فيها ويظهر ضررها بالدين لانها ليست الارياء فيه، الامر الذى لا نراه فى اهل السنة .

وقد نسي فى كلامه عن علماء الكلام فى العصر الثانى العباسى (ص٢٩) ذكر جماعة من كبار متكلمى الشيعة منهم : ابان بن تغلب وابان بن عثمان ومحمد بن سنان وهشام بن الحكم وهشام بن سالم وابو جعفر محمد الاحول المشهور بلقب مومن الطاق والمفضل بن عمر الجعفى ومحمد بن ابى عمير الازدى . وكذلك لم يذكر من مؤلفات محدثى الشيعة ص ٢١١ كتاب الكافى لمحمد بن محمد الكلينى الذى له ايضا الروضة . ونسي ايضا كتاب من لا يحضره الفقيه لمحمد بن على بن بابويه والتهذيب والاستبصار لمحمد بن حسن الطوسى وكتاب بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار وهى اربعة كتب مشهورة ، وغيرها .

ومما ذكره بعز وافتخار ، وعده من ثمار تمدن تلك الاعصار، اعصار العباسيين الكبار ، « تكاثر الجوارى عالم يسمع به قبله حتى كان فيهم (كذا والاصح منهن) فى بعض المنازل عشرات وفى البعض الآخر مئات الى آخر ماهناك (ص ٢٠) ـ قلنا : ان هذا مما لا يتباهى به فى حضارة امة ولا دخل له فى « تاريخ آداب اللغة العربية » وانما هذا مما يسكت عنه خوف الفضيحة والعار . خوف الاهانة والشنار .

وفى ص ٢١ ومايليها الى ص ٣٢ تقدم الى ذكر « امتياز العرب على سواهم من الفاتحين » والى ذكره « آداب اللغة اليونانية والفارسية والسريانية والهندية » وكل ذلك لا حاجة اليه بل كان يكتفى باشارة خفية اليه لا غير .

وفى ص٣٧ نسب الى العصر العباسى الفاظاً كثيرة كان معروفة قبل العباسيين لا بل قبل الاسلام كالكى والحجامة والتوليد والفسخ والهتك والوثى والرض والخلع الى آخر ماسرد من الالفاظ . فحقيقة لا ادرى كيف يلقى كلامه بعض الاحيان على عواهنه حتى انه يدفع القارئ الى ان يظن بانه لا يفعل مايفعل الا

لتوسيع حجم كتابه؛ مع ان الحقيقة هو انه يهرب من ذلك هربه من الافعى .

ومما ذكره في ص٣٩ قوله : « فترى مما تقدم ان اهل تلك النهضة (العباسية) لم يكونوا يستنكفون من اقتباس الالفاظ الاعجمية ولم يتعبوا انفسهم في وضع الفاظ عربية لتأدية المعاني التي نقلوها عن الاعاجم ، بل كانوا كثيراً ما يستخدمون للمعنى الواحد لفظين من لغتين اعجميتين . فالسرسام مثلاً اسم فارسي لورم حجاب الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ولما ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « فرانيطس » ولو استنكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعاً » . اه كلامه — قلنا : ان المترجمين او المعربين لم يكونوا جميعهم من طبقة واحدة فان الضلع منهم كانوا يعربون الالفاظ معنىً لا مبنىً . فيقولون مثلاً علم الحساب ولا يقولون « الارثماطيقي » . وعلم الفلك او النجوم لا « الاسطرونوميه » وعلم المنطق لا « اللوجيقي » وعلم الايقاع أو الغناء لا « الموسيقي » بخلاف الظالع فانهم عربوا الالفاظ تعريباً لفظياً وذلك انهم البسوا الاعجمي لباساً عربياً وقالوا له انك عربي فاذهب بسلام على الطائر الميمون . ثم ان الذين استعملوا الالفاظ الاعجمية الفارسية هم غير الذين اتخذوا الالفاظ اليونانية فليسوا هم اذاً بعينهم كما فهم من قرائن كلام حضرة الكاتب ؛ والذين كانوا يدخلون الفاظ لغة اعجمية كانوا يجهلون ان غيرهم ادخلوا غيرها بمعناها من لغة اخرى أو كانوا يجهلون ان لها مقابلاً في العربية . وفي ذلك العهد كما في هذا العصر كان الظالع والضليع ، وابن اللبون الخريع ، والبازل القريع ، ومنهم من يعلم الالفاظ الاصطلاحية ومنهم من يجهلها وكان أمر النقل من لغة الى لغة في ذلك العهد اصعب مراساً من هذا اليوم لقلة شيوع الكتب واستلزام نسخها او نقلها وغلاء ثمنها وعدم وجود المطابع والمعاجم على الوجوه الميسرة المقربة المعروفة اليوم لدينا . وعليه يكون في قول حضرة كاتبنا الفاضل مغالطة ومجازفة .

هذا فضلاً عن ان السرسام غير الفرانيطس (بالفاء) عند المحققين . نعم ان بعض جهلة النقلة قالوا ذلك وبذلك ؛ لكن بين ان يكونوا محقين وان يكونوا محقوقين فرق كفرق ما بين الثرى والثريا . فان السرسام لفظ مركب من «سر» اي راس «وسام» اي ورم أو مرض . واما قرانيطس بالقاف فهو خطا والاصح انها فرانيطس بالفاء اجل . انها وردت في كثير من مؤلفات الطب بالقاف ظناً انها من قرانيون

Kranion ومعناها قحف الراس مع اداة « ايطس » فى الآخر للدلالة على الالتهاب لكن هذه اللفظة بهذه الصورة لاوجود لها فى لسان اليونان . وانما هى فرانيطس فقط فى الاول وهى من اليونانية Pharênitis اى التهاب الحجاب.

فانت ترى ان السرسام غير الفرانيطس عند المحققين وعليه سقط توجيه حضرة الكاتب المحرر فى هذا الموضوع ولو كان اتى لنا بعدة شواهد تؤيد مدعاه لكان يتقوم من كلامه ضابط يمشى عليه لكن الشاهد الذى اتى به انقلب عليه خصماً . على اننا لا ننكر ان ماذهب اليه قد وقع حقيقة الاان وقوعه يعد من النوادر والنادر كالعدم لايقوم عليه حكم يعمل به المجتهدون .

وفى تلك الصفحة تدرج الى ذكر التراكيب الاعجمية التى تسربت الى العربية فى عصر العباسيين . وذكر اهم تلك التراكيب لكنه لم يذكر بينات تثبت مدعاه . فكان يحسن به ان يدعم آراءه بالادلة الناصعة ليؤخذ بكلامه ، لاسيما ان ماذهب اليه هو من المبتكر أو يكاد يكون . ولهذا كان اسناد الرأى الجديد بحجج قاهرة اومثبتة واجبة التفصيل ، فى هذا القبيل ، وعلى كل فنحن لانظن انه الاكثار من استعمال الفعل المجهول ، هو من مميزات تلك النهضة بل انه حدث بعد ذلك بكثير ولاسيما عند المعربين النصارى . اما المسلمون فانهم كانوا يأنفون من هذا السبك اذ كانوا فى مندوحة عنه .

ومما ذكره فى تلك ص (اى ٣٩) فى باب التراكيب الاعجمية فى اللغة العربية قوله . « ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم (كما) فى بعض الصفات كقولهم روحانى ونفسانى وباقلانى ونحو ذلك مما هو مالوف فى اللغات الآرية لايستحسن فى اللسان العربى ،،،،ـ قلنا : ان الالف والنون اللتين يشير اليهما لا تدخلان قبل « ياء المتكلم » بل قبل « ياء النسب » وقد اخذ العرب هذا النوع من النسبة من الارميين لا من الآريين وان كانت هذه النسبة موجودة بهذه الصورة عند الآريين الذين يشير اليهم وهذا اشهر من ان يذكر .

وقال فى تلك الصفحة (اى ٣٩) ومن التعبيرات التى اقتبسها العرب من اللغة اليونانية مالم يكن لهم منـدوحة عنها ولا بأس منها : ١ تركيب الالفاظ مع « لا » النافية وادخال ال التعريف عليها كقولهم : اللانهاية واللاادرية واللاضرورة اه ـ قلنا : ان هذا الاستعمال كان معروفا قبل عصر

العباسيين فقد جاء في كلام عامر بن الضرب العدواني من خطباء الجاهلية: اني اري اموراً شتى وحتى . قيل له : وماحتى ؟ قال : حتى يرجع الميت حيا ، ويعود اللاشيء (اي العدم) شيئا. اه. فانت ترى انه كان في غنى من ان يقول اللاشيء بقوله العدم. لكنه قال ماقال لتوجيه الفكر الى معنى دقيق جديد لا يوجد في لفظة العدم.

وقال في ص ٤٠ : ومن الكتب التي يمكن الرجوع اليها في هذا الموضوع موضوع الالفاظ العلمية غير كتاب تاريخ اللغة العربية المتقدم ذكره : «كتاب التعريفات» للجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ ، ويشتمل على المصطلحات الفقهية والنحوية وغيرها مرتبة على حروف المعجم وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ وفي مصر اه. قلنا : لا ندري لماذا خص بالذكر المصطلحات الفقهية والنحوية دون غيرها مع ان مصطلحاتهما قليلة بالنسبة الى اوضاع سائر الفنون. ثم قال انه طبع في باريس والحال انه طبع في ليبسك بسعي غستاف فلوجل : واما الطبعة المصرية فقد برزت سنة ١٢٨٣ نقلاً عن الطبعة الافرنجية كما ان شركة الصحافة العثمانية في دار السعادة طبعتها على النسخة المصرية وهي كثيرة الاغلاط كالاصل الذي نقلت عنه اذ لم تحرر.

ومن غريب اقواله ماذكره في سبب الشكوك في الدين والزندقة (ص ٥١) قال : الفلسفة لم تدخل في ديار قوم أهل دين الا شوشت اعتقادهم وتركتهم حيارى مذبذبين ربما يرسخون في العلم فيستقر رأيهم على شيء يدينون به (كذا). اه. قلنا : ليست الفلسفة الا نوراً طبيعيا لا يضر العقل المتدين السليم بل يزيده جلاء متى تغلغل في الحكمة وانما يؤذي من كان في عقله آفة او في دينه مغمز او مطعن ونحن نعلم ان كثيراً من المتدينين تفرغوا أو يتفرغون لدرس الفلسفة فنهضوا أو ينهضون عنها وقد تمكن معتقدهم في صدرهم وازدادوا نوراً على نور . والافمن ينسب الى الفلسفة سبب الضعف في الدين والزندقة كمن ينسب الى الشمس موت الاحياء . نعم ان الشمس قد تميت لكن الغالب على افعالها الحياة والاحياء وكذلك فعل الفلسفة . ولهذا فنسبة الزندقة اليها ظلم بين فاضح . وقد قال قدماء الاجانب : قلة العلم تبعدنا عن الله وكثرته تقربنا منه . وحضرة الكاتب كثيراً ما يلمح الى عدم اتفاق الدين والعلم كأن الواحد عدو الآخر وكأن مصدر الاثنين مصدران متعاديان لا يجتمعان معاً . ونحن ننزهه عن هذا المقال. على انه لا يسلم هو بصحة مبدا هذا وكأنه رأى نقصه عند تدوينه اياه

فاستدركه بقوله : « على ان الشكوك فى الدين شاعت فى الادباء والشعراء قبل نقل الفلسفة الى العربية فلعلها تطرقت الى اذهانهم من معاشرة الامم المختلفة فى بغداد والكوفة والبصرة ممن دخل منهم فى الاسلام . » اه . قلنا : ان تخصيصه الادباء والشعراء بقلة التدين ظلم بحت ارمحض تحكم . فان فساد الدين لايقع فى طبقة من الناس دون الطبقة الاخرى فضعفاء الدين موجودون فى كل قطر وعصر، وفى كل شق وعمر، وفى كل امة وملة، وفى كل طبقة من طبقاتها وقد وجد بين العرب قبل الاسلام وفى عهده وفى صدره وفى عقبه بقليل اوكثيراناس ممن يشير الكاتب اليهم كما يشهد عليه التاريخ. ومن ثم لانستصوب رأى كاتبنا فى هذا الصدد كما اننا لانوافقه على رأيه .

والكاتب البارع المبتدع كثيراً مايعمم بعض الامور لورود خبر خاص جاء فى معنى من المعانى التى يريد تأييدها. وهذه كتبه كلهامشحونة بمثل هذا الاطلاق المخل بالحقائق وقد جاء مثل ذلك فى ص٥٣ قال : « وكثيراً ماكانت تعقد مجالس الشعراء لغرض ادبى كوصف منظر اوادا ء كما فعل الهادى اذ استقدم الشعراء اليه واقترح عليهم ان يصفوا سيفاً اهداه اليه المهدى وهو سيف عمرو بن معدى كرب فوضع السيف بين يديه وقال للشعراء : صفوه فنال الجائزة ابن يامين المصرى .» قلنا : ولوقال « وربما كانت تعقد مجالس ... الخ » لكان اثبت قدما فى موقف الحقيقة والالوكان صادقا لاتى لنا بشواهد جمة تأييداً لمقاله . فاذلايسرد الا شاهداً واحداً فالاوجه ان يقول مثلا عبارة تشعر بضيق موقفه وحرجه أو تدل على ان الامر لم يكن على وجه العموم . وفى تلك الصفحة قال ايضا : وكثيراً ماكان الرشيد يعقد المجالس للبحث فى معنى بيت. وهو لم يذكر هناك الاشاهداً واحداً ادعاما لرأيه. ومثل ذلك قال فى الصفحة التالية (٥٤) وهذا نص كلامه: « وكثيراً ماكان رجال الدولة يعولون على الشعراء فى تبليغ بعض مايخافون غضب الخليفة منه كما فعلوا بتبليغ الرشيد خبر نقفور ملك الروم » وهنا ايضا لم يذكر كاتبنا الا خبراً واحداً لبناية حقيقة تاريخية عامة الموضوع . ولو اردنا ان نتتبع مثل هذه الاقوال . لاتسع بنا المجال. الى مايخرجنا عن ميدان البحث.

والظاهر من تتبع صفحات كتاب مؤلفنا المبتدع انه لم يعن بتتبع احوال الشيعة وليس بيده كتبهم الكبار اذقلما يستشهد بمصنفاتهم بل كثيراً مايظهر

جهله اخبارهم. انظر مثلا ص٥٧ تر انه عد من شعراء الشيعة السيد الحميري ودعبل وديك الجن فقط واخرج من بينهم صريع الغواني مسلم بن الوليد ومنصور النمري والمكوك وابادلف وابانمام والبحتري وابانواس . مع انهم من المتظاهرين اوالقائلين بالتشيع .

وقد يهفوا حياناً في جزمه في بعض الامور لاسيما في وجود الكتب وضياعها فقد قال مثلا في ص ١٢٣ : « ولم يصل الينا من كتاب العين الا ما نقل عنه في كتب اللغة كالمزهر للسيوطي وكتاب النحو لسيبويه » ولو زاد على ذلك: ولعله يوجد في بعض المكاتب لما كان في جزمه شديد وقع فان لكتاب العين ثلاث نسخ في العراق ولعل يوجد اكثر من ثلاث وقد ورد مثل كلامه هذا بخصوص المؤلفات النادرة في عدة مواطن ونحن نكتفي هنا بالاشارة فقط . ولهذا يحسن به ان يكسر قليلا من لهجته في هذا الصدد . لاسيما وقد عاد في الصفحة ١٢٤ الى كتاب العين فقال : « وللاسف انه ضاع وقد كان موجوداً الى القرن الرابع عشر للميلاد ولا يبعد ان يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكاتب الخصوصية » .

ومن اوهامه انه نسب الى ابن المقفع معرفة اليونانية (ص ١٢٩) وهذا رأي قائل ذكره بعض مترجميه على طريق التكهن لانهم رأوه اختصر بعض كتب مترجمة من اليونانية لكن لم يذكر احد هذا الخبر على طريق التأكيد والحكم المبتوت فكيف جاز له بعد ذلك ان يقول: وكان يعرف اللغة اليونانية « جيداً »؟

وفي بعض الاحيان يقابل حضرته بين ما انتجه تمدن اليونان والرومان بما ولدته حضارة العرب ثم انه يحكم بان نتاج اهل الغرب لم يكمل الا بعد سنين طوال وامانتاج العرب فانه كمل بعد حين قليل . مثال ذلك مقاله في ص ١٤٤ « فترى مما تقدم ان المسلمين دونوا فقههم واقروه واستنبطوا الاحكام والشرائع قبل انقضاء القرن الثاني من تأسيس دولتهم ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم . فان الشريعة الرومانية لم يستقر امرها وتضبط الا في زمن يوستنيان وذلك بعد تأسيس الدولة الرومانية باكثر من عشرة قرون. » اه كلامه . قلنا في مثل هذه المقابلات والمعارضات : ان العرب اخذوا اغلب علومهم عن كتب الرومان واليونان وغيرهم فحصدوا ما زرع غيرهم . واما من سبقهم فانهم حصدوا ما زرعوه بانفسهم. ومع هذا كله فشتان بين نتاج ونتاج وبين حضارة وحضارة

فان المستشرقين الراسخي القدم في تواريخ اهل الشرق والغرب يرجعون اليوم كثيراً عما ذهب اليه من سبقهم الى هذه الآراء التي ارتآها اخوانهم قبل ان يطلعوا تمام الاطلاع على مآخذ العرب ومصادر علومهم .

رجال السفينة العراقية

L'équipage d'un bâtiment mésopotamien.

١ً : (الاولى): [١] هو كبير الملاحين. ويكون في مقدمتهم عند جرهم السفينة . وهو مشتق من الاول (اي المقدم). وتختلف اجرة (الاولى) في السفينة باختلاف المواقع ففي بغداد يأخذ (الاولى) على السفرة من بغداد الى البصرة عشرة مجيديات ويكفل كل الملاحين واذا هرب احدهم في الطريق يتعهد بارجاعه الى محله او يأتي بملاح غيره والا يغرم عشرة المجيديات عوض ذلك. وفي الفرات يأخذ (الاولى) مجيديين الا انه لا يكفل احداً ابداً ؛ وكذلك (اولى) السفينة التي تسير بين الكوت والبصرة. وقد تختلف هذه المعاملات في بعض الاحيان او الامكنة والاختلاف طفيف .

٢ً : (الآشجي او العقب): [٢] يراد بهما الطباخ الذي يطبخ طعام اهل السفينة واجرة الآشجي او العقب الذي في بغداد اربعة مجيديات والذي بين الكوت والبصرة مجيديان وذلك على كل سفرة يسفرها من المحل الذي تقلع منه سفينته الى البصرة ذهاباً فقط. لان اهل الكوت واهل سوق الفرات يتحاسبون في المحل الذي تنقل فيه احمال سفينتهم ولا يتركون الحساب الى الرجوع بخلاف اهل بغداد فانهم لا يتحاسبون الا عند رجوع النوتية الى المحل الذي أقلعوا منه ويسمى اهل السفن نقل حمل السفينة (نفاضاً) فيقولون (نفضت) السفينة (ونفضتها) انا و (انفض) انت السفينة بصيغة الامر .

٣ً : (البواب)[٣]: هو الملاح والبوابون خمسة وهم بواب اول وثان وثالث ورابع وخامس . وهذا عدد الملاحين في السفينة الكبيرة وقد ينقص ويزداد بحسب كبر السفينة وصغرها .

---

[١] بفتح الهمزة واسكان الواو بعدها لام مكسورة وياء مشددة . [٢] بفتح العين والقاف

[٣] بفتح الباء الموحدة وتشديد الواو بعدها الف وباء وزان شداد .